أبطال الإسلام

المثنى بن حارثة..

بطل بني شيبان

الدكتور
طارق البكري

الطبعة الأولى
1425هـ - 2004 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

المثنى بن حارثة..

بَطَلُ بني شَيْبانَ

نَشَأَ المثنّى بين قومِه بني شَيْبَانَ في منْطَقَةِ اليمَامَةِ في بلادِ البحرينِ، وهداهُ اللهُ إلى الإيمانِ في رَيْعانِ الشّبابِ..

كان رجلاً شجاعاً مِقْداماً.. قائداً حَكيماً بَعيدَ النّظَر.

شَهِدَ لَه التاريخُ بالكفاءةِ في قيادةِ

الجيوشِ ، كان مُتواضِعاً يُعاملُ نَفْسَه كأقلِّ جُنْديٍّ في جَيشِه ، حارَبَ الفُرسَ ، قاومَ المرتدّين في عَهْد أبي بكرٍ رضي اللهُ عنه ، لم يَخْشَ الدولةَ الفارسيةَ التي كانت أعْظَمَ البلادِ وأقْواها... نَبَّهَ الخليفة إلى فتحها.. ومَهَّدَ الطريقَ أمامَ الفتح الإسلاميِّ لِبلادِ ما بينَ النهرَيْنِ.

بدأ حياتَه العسكريّةَ في مَطلَع عَهْدِ أبي بكر رضيَ اللهُ عنه ، وخَتَمها شهيداً في معركَةِ «الجسْرِ» في عَهْدِ الخليفةِ عمرَ رضي اللهُ عنه ، بِسِجِلِّ بطولات ومواقعَ فريدةٍ ، أعطتْ لهذا المجاهد سِماتِ البطولةِ والكفاح لإعلاء رايَةِ

الإسلامِ ، فكانَ له الفَضْلُ الكبيرُ في نَشْرِ الإسلاَمِ رَغْمَ أنه لم يَنَلْ كَثيراً من الشُّهْرَة والذُّيوعِ كغيرِهِ من قادَةِ المسلمينَ الكبارِ..

أَسْلَمَ المثنّى في بداياتِ الدعوةِ ، كان شَاباً فَتيّاً ، تَذْكُرُ بعضُ الرواياتِ أنه التقى رسولَ اللهِ ﷺ في السنةِ التاسِعَةِ من الهِجْرَةِ الشريفَةِ.

كان ضِمْنَ وَفْدِ قومِهِ الذين أَتَوا إلى المدينةِ ليتعرفوا إلى الإسلامِ ، فآمنوا وآمنَ معهم.

قَوِيَ الإسلامُ بإيمانِ بني شيبانَ ، فقد كان فتْحاً مُبيناً في منطقة البحرَيْن ،

آمنوا برضا واقتناع ، وبَعْدَ مَوْتِ الرسولِ ﷺ ، وقعتْ فتنةُ الردّةِ ، حيث ارتدّ كثيرٌ من المسلمين عن دينهم ، ومنهم مَنْ رَفَضَ أداءَ الزكاةِ إلى خليفةِ رسولِ الله ﷺ ، جَمَعَ المثنى قومَهُ ، وسارَ بهم لقتالِ المرتدّين ، وانضمَّ إلى جيشِ المسلمين بقيادَةِ العَلاءِ بنِ الحَضْرَمِيِّ الذي أرْسَلَهُ الخليفةُ الراشديُّ الأولُ لقمع المرتدّين ، شاركَ بفَعاليةٍ في بقاءِ الراية الإسلاميةِ عاليةً خَفّاقةً في هذه المنطقةِ المجاورةِ لبلادِ الفُرسِ التي تَعْبُدُ النارَ.

لم يَرْضَ المثنّى بِمُجَرَّدِ قَمْعِ حَرَكَةِ

التَّمرُّدِ على الدولةِ ، بل تَولّى بنفسهِ مطاردةَ فُلولِ المرتدّينَ ، على طُولِ ساحِلِ البحرِ ، تَقَدَّمُ بِجُرأَةٍ حتى جاورَ حُدودَ فارس..

كان للمثنَّى أخوان: المعنى ومسعود ، الأول قائدُ الخيّالَة والثاني قائدُ المُشاةِ ، قاتلا مع أخيهما باسْتِبْسالٍ شديدٍ ، حتى نالَ مسعودٌ شرفَ الشهادةِ.

أمَّا زوجَةُ المثنى سَلْمى بنتُ حَفْصَةَ ، فكانتْ هي أيضاً من السبّاقين إلى الإسلام ، ويُروى أنها رافقتْهُ إلى رسول الله ﷺ ضِمْنَ وَفْدِ قومِها ،

وأعلنَتْ معه إسلامَها ، شَهِدَتْ كلَّ المعاركِ التي خاضَها ، وبقيَتْ معه حتى اسْتِشْهادِهِ. تابَعَتِ المعارك بعد استشهادِه حتى دانتْ دولةُ الفرسِ بالإسلامِ ، تحتَ رايةِ القائدِ الكبيرِ سَعْد بن أبي وَقّاص رضي الله عنه الذي تَزوَّجَتْهُ بعد اسْتِشْهادِ المثنّى.. لكنها ظَلَّتْ مؤمنةً ببطولاتِه لمدةٍ طويلةٍ ، حتى عندما هاجمَتْ كتائبُ الفُرسِ إحدى وَحَداتِ المسلمين في معركة القادسية ، صاحَتْ بأعلى صوتِها تحثُّ الجيشَ على القتال: «وامُثنّاه.. ولا مُثنّى للخيلِ اليومَ».

ارتبط ذِكْرُ المثنّى بيومٍ من أيامِ الجِهادِ.. هو يَوْمُ الفُراتِ ، فقد تولّى قيادةَ جيشٍ من قومه ضد بني تَغْلِبَ قُربَ الفراتِ، وأحرزَ انتصاراً كبيراً كان حديثَ زمانِهِ.

شجاعتُه الكبيرةُ.. ثِقَتُهُ بالنصرِ.. حِرْصُه على الشهادةِ ، كلُّ هذه العوامل وغيرها كانت دافعاً لجنودِه ، مُحرِّكاً في نفوسِهم ، كان صوتُهُ كالرَّعْدِ يَسْرِي بين صُفوفِهم ، فَيُثيرُ فيهم الحماسةَ وحُبَّ هذا الدينِ العظيمِ.

عندما ماتَ أخوهُ مسعودٌ ، لم يَجْزَعْ ولم يَحْزَنْ ، فالشهادةُ شَرَفٌ وبُطولةٌ..

ثوابُها الجنّةُ ، وقد خَشِيَ الجنودُ أن يُـؤَثِّـرَ فيـه مَقْتَـلُ أخيـهِ فقـالَ لهـم: «لا يَرُعْكُمْ مَصْرَعُ أخي.. فإنّ مَصارِعَ خِيارِكم هكذا».

ومن خُطَبه الرائعةِ يومَ اشْتَدَّ التَّعَبُ وضَعُفَ العَزْمُ والحماسةُ بين جنودِه فيما تَتقدَّمُ قُواتُه من سوقِ بغدادَ إلى الأنبار ، قال: «أيها الناس.. لم يَبْلغ النذيرُ مدينتَهم بَعْدُ ، ولو بلَغَهُمْ لحالَ الرعبُ بينَهم وبين طلبكم..

ولـو أدركـوكُـم لقـاتَلْتُهـم لاثْنيَـن: التماسِ الأَجْرِ ورَجاءِ النَّصْر..

فَثِقُوا باللهِ.. وأحْسِنوا الظَّنّ فقد

نَصَرَكُم اللهُ عليهم في مواطِنَ كثيرةٍ ، وهُمْ أكثرُ منكم وأعَزُّ..».

كان المثنَّى يُراجعُ الخليفةَ في الأمورِ العَظيمةِ ، وقد أشارَ على أبي بكر بضرورةِ فَتْحِ أرضِ فارس ، فاقتنعَ بِرأيِهِ وأرسَلَ جَيْشاً بقيادةِ خالدِ بن الوليدِ رضي الله عنه، وأمَّر المثنّى ليقود العملياتِ حتى يَصِلَ خالدٌ رضي الله عنه..

اتجه القائدُ المثنّى إلى المدينةِ أيضاً بعد انتصاره ببابل العراقِ يَطلبُ العونَ والمَدَدَ.. فأمر أبو بكر -وكان شديدَ المرضِ يومئذٍ- عمرَ بْنَ الخطابِ

رضي الله عنه بأنْ يُرْسِلَ الناسَ مع المثنّى للقتالِ ، وطَلَب منه إنْ مات الخليفةُ ألا يَشْغَلَه موته عن ذلك.

يقولُ المؤرخونَ: إن أبا بكر رَسَمَ في أواخرِ أيامِه سياسةَ الفَتْح الإسلاميّ ، في العراق ، مُستمدّاً رأيَه من إصْرار المثنّى بن حارثة الذي كان مُصِرّاً ومُصمّماً على ضرورةِ إتمام هذا الفتحِ ؛ لأنه كان يَراه أملاً واجِبَ التنفيذ..

ومِنْ أَرْوع القِصَصِ التي تُروى عنه وتُخبِرُنا بقوتِه وجُرْأتِه ، أنه في بابل كان لدى الأعداء فيلٌ ضَخْمٌ جدّاً يُسبِّب

اضطراباً في صفوف المسلمين ، كان سِلاحاً شديداً على الجنودِ.

قرَر المثنَّى أن يَتقدّمَ نحوَ الفيل بنفسهِ ، رغْمَ كُلِّ الأخطار التي تتهدَّدُهُ ، تقدّم القائدُ البطلُ وواجهَ الفيلَ ، راح يُناوِرُ ويحتال عليه حتى أصابَه بِمَقْتَلٍ، وَخَلَّصَ المسلمين من شرِّه.

تولّى المثنّى قيادةَ المعاركِ الحربيةِ فوقَ أَرْضِ العراق ، أرسلَ له الخليفةُ الراشديُّ الثاني المَدَدَ والمَعونةَ ، واستعدَّ المثنى لمواجَهَةِ جنودِ الفرسِ الذين تجمعوا بعد النّكباتِ المتتالية ، وقرروا أَنْ يَشُنّوا

حرباً ضارية ضدَّ جيوشِ الفتح الإسلاميّ.. استطاعَ المثنّى إحرازَ النصر تِلْوَ النصرِ ، كان يَحُثّ جيشَه على القتال من دُون تَوَقُّفٍ ، ظَلَّ المثنّى يُقاتلُ ويُقاتل ، حتى أصابتْه طَعنةُ رُمْحٍ غاصتْ لها حلقاتُ دِرعِه في جَنْبِه.. في معركةٍ شهيرةٍ سُمِّيتْ بمعركَةِ الجِسْرِ، وقد دارَتْ بين المسلمين والفرس ، كاد المسلمون فيها يَنْهزِمون لولا حكمةُ المثنّى وبَدَهِيَّتُه.. انسحب بالجيش حتى لا تَقْضي عليه قواتُ العدوِّ الكبيرة ، ورغم إصابته الشديدةِ أَعَدَّ الجندَ وعاوَدَ القتالَ بعد مدةٍ حتى

انتصرَ على العدوِّ وتابع زَحْفَهُ بقوةٍ ، وإصرارٍ..

لكنّ الشهادةَ كانتْ أَملَ هذا القائد الفَذِّ ، حيثُ ظَلَّ يَحملُ جِراحَه التي أصيبَ بها يومَ الجِسْر ، واشتدتْ عليه الحمّى ، بعد أن تَوَرَّمَ الجرحُ وعَجَزَ الأطباءُ عن عِلاجِهِ ، فَتَركَ ساحةَ القِتالِ ، واستَخْلَفَ على الجندِ قائِداً جَديداً ، اطمأنّ على سَيرِ المعارِكِ، ثم عاد إلى قومِهِ يَتَرقّبُ الشهادةَ التي طلبها طَوالَ عُمرِهِ..

هكذا رَحَلَ المثنّى بَعْدَ سَنواتٍ طويلةٍ ، قضاها من فَتْحٍ إلى آخر ، ومن

نَصْرٍ إلى نصر ، همُّه الإسلامُ ، لم يتأخَّر يوماً عن نداءٍ ، تَرَكَ الحياةَ ونعيمَها ، لم تَبْهَرْهُ المباهِجُ والمسرّاتُ ، عاشَ لقضيةٍ عُظمى.. فأعطاهُ اللهُ تعالى وسامَ الشهادة.. مات بِصَمْتٍ بعيداً عن أيِّ مَنْصِبٍ أو شُهرةٍ أو رغبةٍ بمقام.. لأنه عاشَ لقضيةٍ وماتَ لقضية.. أسكنَهُ الله تعالى فَسيحَ جنَّاتِه..

* * *